مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 559 – 578
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

جهود الشيخ محمد المنتصر بالله الكتَّاني في مواجهة الاستشراق

The efforts of Sheikh Muhammad Al-Muntasir Billah Al-Kettani in the face of Orientalism

جمال عرقوب[1] **أ.د/ عبد الكريم بوغزالة**
معهد العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمَّة لخضر بالوادي
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
Djamel-medine@hotmail.com Gazala300@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/03/03 تاريخ القبول: 2021/10/14

الملخص:
لا يخفى على أهل الحقِّ أهميةُ الدَّعوة إلى الله تعالى في كلِّ عصر، والحاجة إليها في العصر الحاضر أشدُّ، والدَّعوة تتجدَّد بها اتِّجاهات عقدية وفكرية، وتهجم عليها مؤثِّرات سياسيَّة واجتماعية، وتعرقلها وتشوِّش عليها مؤامرات ومكائد خارجية وداخلية، وهي تحتاج منَّا أن نكون على عمقٍ علميٍّ، ونضوجٍ تامٍّ، وبصرٍ بتجارب السَّابقين، ومناهج العلماء الراسخين الذين بذلوا مهجهم، وتصدَّوا للتيَّارات والمؤثِّرات الوافدة على الأمَّة، ودراسة جهودهم في التَّصدِّي للأفكار الهدَّامة، والأساليب الغربية التي تهدف إلى محاربة الإسلام وأهله، وتفتيت وحدة الأمة الإسلامية، كالتغريب والاستشراق وغيرهما، وهذه الدراسة تهدف إلى تقريب جهود أحد أعلام المغرب الإسلامي المعاصر، ألا وهو الشيخ محمد المنتصر بالله الكتاني -رحمه الله- في مواجهة الاستشراق وافتراءات أهله.
الكلمات المفتاحية: الكتَّاني؛ جهود؛ الاستشراق؛ مواجهة.

Abstract:
It is no secret to the people of the truth the importance of inviting to God Almighty in every age، and the need for it in the present age is more crucial، and this invitation will influence dogmas and intellectual trends، and it will be under the attack of political and social influences، and it will be obstructed and disturbed by conspiracies and external and internal machinations، and it requires from us to have a comprehensive depth of knowledge and a complete maturity، and insights of the experiences of the precedents، and methodologies of the well-established scholars who have made tremendous efforts، and confronted the currents and influences affecting the nation، and the study of their efforts to confront destructive ideas، and the Western methods that aim to fight Islam and its people، and to fragment the unity of the Islamic nation، such as westernization، orientalism and others. This study aims to introduce the efforts of one of the flags of the contemporary Islamic Maghreb، Sheikh Muhammad Al-Muntasir Billah Al-Kettani، may God have mercy on him، were brought closer to confront Orientalism and the fabrications of its people.
Key words: Al-Kettani; The efforts; Orientalism; Confront.

[1]- المؤلف المرسل.

مقدّمة:

إن جنود الإسلام من أهل العلم، ما زالت سيوفهم مسلولةً وقويةً على أعدائهم، وما زالت جهودهم مثمرةً في كل زمان ومكان، حيث إنَّ الله تعالى قد أوجد لهذا الدِّين من يدافع عنه، من أهل القلم والعلم والمعرفة، مهما كانت الظروف والأحوال، وإنَّ كُتب التَّاريخ الإسلامي زاخرةٌ بالعلماء والأئمة الذين أفنوا حياتهم في سبيل خدمة الدين الإسلامي، والأحداث الكثيرة أثبتت بأنَّ مضاجعهم قد قُضّت من أجل حماية هذا الدِّين من أي شائبةٍ أو مكرِ عدوٍّ قد يلحق به، وتوضيحِ للدِّين الإسلامي على حقيقته التي نزل بها.

ومن بين هؤلاء الأئمة الأعلام، نجد الشيخ محمد المنتصر بالله الكتاني رحمه الله أحد علماء المغرب العربي الأفذاذ، الذي نذر حياته في سبيل العلم، وفي سبيل الدعوة وترسيخ الثقافة الإسلامية في النفوس وخدمة مصادرها، وكانت له جهودٌ بارزة في التَّصدِّي لمعالم التغريب، ومظاهر سلخ الأمة الإسلامية من ثوابتها الدينية، ومحاولات ضرب الدعوة الإسلامية في مقتل، بأساليب ومناهج متنوعة، من ذلك الاستشراق، وسأحاول في هذا البحث ردِّ شيء من جميله الكثير، ببيان جهوده في الدفاع عن الإسلام، خاصةً فيما يتعلق بالاستشراق وأهله، والله أسأل التوفيق والسداد، والإعانة والرشاد، على بلوغ القصد.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1- إبراز أئمة الإسلام، ومن خدم الثقافة الإسلامية من العلماء الذين جاهدوا فكريًّا وعلميًّا في سبيل نصرة الدين، وإعلاء كلمته، وخاصة أن الكثير منهم لم يأخذوا حقهم من البحث والدراسات الوافية والجادة؛ نظراً لجهودهم الجبارة في سبيل ترسيخ القيم الإسلامية، وحمايتها مما يخل بها من أي غزوٍ، أو فتنٍ خارجيَّةٍ أو داخليةٍ، والمحافظة على الفكر الإسلامي من أي انحرافٍ فكريٍّ.

2- اكتسب موضوع الاستشراق أهمية كبيرة لدى الباحثين؛ نظرًا للدور الخطير الذي لعبه في حياة الأمة الإسلامية، وكونه بابًا آمنًا لولوج التنصير، والاستعمار على المسلمين، فاحتل حيِّزا ليس بهيِّنٍ في التاريخ، والفكر الإسلامي، وهذا مؤذنٌ بالقيمة العلمية للبحث فيه، وبيان جهود أئمة الإسلام في التَّصديِّ لخطره.

3- إنَّ البحث في جهود الشَّيخ محمد المنتصر بالله الكتاني له أهمية كبيرة خاصة في جهوده في المغرب العربي، وجهوده في ترسيخ الثقافة الإسلامية، وتصديه للفكر الغازي الغربي، حيث آتاه الله صدرًا رحبًا لتدارس واقع الثقافة الإسلامية، وكشف الثغرات الغربية التي تحاول تحطيم القيم الثقافية لدى المسلمين، وفك أواصر ترابطهم وانتمائهم الإسلامي، فكان من المهم البحث في جهوده في محاربة الاستشراق، وافتراءات أهله.

4- من المعلوم أنَّ الشيخ الكتاني رحمه الله له مؤلفات غزيرة، وجهودٌ كبيرة في التأليف في مساراتٍ متنوعةٍ، تخدم الإسلام والمسلمين، وقد كتب في القضايا الفكرية المعاصرة والثقافية المهمة، والتي لها صلة بالعالم الإسلامي، والالتفات إلى جانب من هذه الجوانب المهمة جديرٌ بالدراسة والعناية.

مشكلة البحث:

مضمون المشكلة الأساسية لهذا البحث: ما هي جهود الشيخ محمد المنتصر بالله الكتاني المغربي في مواجهة خطر الاستشراق، والتصدي له؟ وتتضح هذه الإشكالية أكثر بطرح التساؤلات الفرعية التالية:

1- ما هي سيرة ونشأة الشيخ الكتّاني رحمه الله العلمية والعملية؟

2- ما هو مفهوم الاستشراق وأهدافه؟

3- ما موقف الشيخ رحمه الله من الغزو الفكري؟

4- ما هو موقف الشيخ رحمه الله من افتراءات المستشرقين؟

أهداف البحث:

1- التعريف بحياة الشيخ الكتاني، وبالمناخ الإسلامي الذي عاشه، وتأثير ذلك على حياته ومسيرته العلمية.
2- الوقوف على القضايا الإسلامية، وعرض ما تطرق إليه الشيخ في مؤلفاته بخصوص الاستشراق.
3- الحصول على دراسة وافية عن جهود الشيخ الكتاني في مجال محاربة الغزو الفكري.
4- تسليط الضوء على موقف الشيخ الكتاني رحمه الله من افتراءات المستشرقين، ودوره في صيانة الفكر الإسلامي من الشوائب المدسوسة والغازية، وفي ربط أواصر المجتمع الإسلامي الكبير تحت راية واحدة فكرًا وثقافة، وفق منهج إسلامي قويم.

منهج البحث:

إنَّ طبيعة هذا البحث تقتضي أن يُتَّبَعَ فيه منهجٌ استقرائيٌّ تحليليٌّ، يبدأ باستقراء وتتبع كلام الشيخ الكتاني الذي له علاقة بموضوع البحث، ثم تحليل ذلك وتفسيره على الوجه الصحيح السليم، ثم يعقب ذلك كلَّه استنتاجاتٌ واستنباطات تتعلق بجهود الشيخ رحمه الله في مواجهة الاستشراق، وفق ما حدَّده الباحث من معالم، وما رسمه من جوانب ظهرت أهميتُها دون غيرها في خطة البحث.

خطة البحث:

انتظمت هذه الخطة في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة: واشتملت على الاستهلال، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، ومنهجه، وأهدافه، وخطته.

المبحث الأول: حياة الشيخ محمد المنتصر بالله الكتّاني، وفيه مطالب:

المبحث الثاني: جهود الشيخ رحمه الله في مواجهة الاستشراق.

الخاتمة: وتحوي أهم النتائج.

فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: حياة الشيخ محمد المنتصر بالله الكتّاني

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته.

اسمه ونسبه: هو أبو علي، وأبو الفضل محمد المنتصر بالله، بن محمد الزمزمي، بن محمد، وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما(1).

مولده ونشأته وبيئته: ولد الشيخ الكتَّاني رحمه الله في الثاني عشر من ربيع الأول عام: (1332هـ-1914م) بالمدينة المنورة، ونشأ رحمه الله في بيت فضلٍ وعلم، فجُلهم ممن اشتهروا بالعلم والصلاح(2).

فوالده: محمد الزمزمي بن محمد الكتّاني ولد بفاس: (1305هـ-1888م) وتوفي عام: (1371هـ-1952م) كان من أئمة العلم، وسافر في البلدان، وله مصنفات أشهرها: (رحلتان للهند وديبوند)، و(مذكرات شخصية)، و(مجموعة المرسلات مع أعلام المشرق والمغرب وملوكها)، و(عقد الزمرد والزبرجد في سيرة الابن والوالد والجد)، وغيرها كثير(3).

وجدّه: محمد بن جعفر الكتّاني المولود بفاس: (1274هـ-1858م)، وتوفي عام: (1345هـ-1927م) صاحب التصانيف الكثيرة منها، (الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة)، و(الأربعون الكتّانية في فضل آل البيت خير البرية)، و(نظم المتناثر من الحديث المتواتر)، و(سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بذكر من أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس)، و(سلوك السبيل الواضح لبيان أن القبض في الصلوات كلها مشهور وراجح)، وغيرها من المصنفات كُثر(4).

وعمه: محمد المكي بن محمد بن جعفر الكتّاني ولد عام: (1312هـ-1894م) من علماء الشام، من أشهر مؤلفاته (نصيحة عامة)، و(رحلة للمغرب)، وتعليقه على كتاب العلم المحمدي لوالده، وغير ذلك من المصنفات، توفي عام: (1493هـ-1973م)[5].

وهكذا قرابته ممن اشتهروا بالعلم والصلاح، وبقية أهل بيته الذي كان مأوى العلماء والوجهاء، وزاخرًا بأنواع العلوم في مختلف مجالات المعرفة، ومليئًا بأصناف المعارف، كما قال فيهم الشاعر[6]:

وَكُلُّ كَتَّانَ مِنْهُمْ عَلَى سِمَةٍ أَعْظِمْ بِهَا سَمَةً بِرًّا وَإِقْبَالًا.

وقد ساعدت عيشة الشيخ الكتّاني رحمه الله في المشرق والمغرب على تلقيح ذهنه وفهومه، وقد جمع بين الحسنيين: ثقافة المشارقة، وثقافة المغاربة، وكما أنه عاش في بداية الاستعمار في العالم الإسلامي، وانهيار الخلافة العثمانية في تركيا، وقيام الحركات الثورية والإسلامية والعلمانية بمختلف اتجاهاتها.

وكذلك عايش الشيخ رحمه الله عصر الاستقلال للعالم الإسلامي، ودول العالم الثالث ولكن في الوقت نفسه بالرغم من ذلك فقد كثر العلماء، والنبغاء في شتى الميادين في تلك الفترة، حيث تسنى للشيخ رحمه الله الاغتراف من علمهم، وملازمة بعضهم، والاستفادة من كتبهم وقراءة أفكارهم[7].

المطلب الثاني: رحلاته وطلبه للعلم

عاش الشيخ محمد المنتصر بالله الكتّاني رحمه الله الأربع سنين الأولى من عمره في المدينة المنورة، ثم انتقلت أسرته إلى دمشق، حيث حفظ القرآن الكريم في رياضها، وحضر دروس جده خاصة في شرح مسند الإمام أحمد، والتي كان يحضرها نجباء العلماء والطلبة[8].

وفي عام: (1345هـ-1927م) عاد مع أسرته إلى مدينتهم الأصلية فاس[9] في المغرب، وكان رحمه الله يحضر دروس جدِّه في شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل في جامع القرويين بالمغرب -وهو ابن (17)، وأخذ الشيخ عن أعلام فاس- ممن سيأتي ذكر بعضهم- علوم التفسير، والحديث، والفقه، واللغة والأصول، والتاريخ، والأدب، والاجتماع، وأخذ علم الأنساب عن الشيخ عبد الكبير بن هاشم الكتَّاني صاحب (زهرة الآس)، ونجله الشيخ محمد بن عبد الكبير بن هاشم صاحب (زهرة الأكياس)[10]، كما رحل الشيخ إلى مدينة طنجة المغربية، وأخذ من علمائها، وزار مدن المغرب مثل: زرهون[11]، ومكناس، ومراكش[12]، وتطوان[13]، والرباط[14]، وسلا[15]، وغيرها[16].

ثم في عام: (1352هـ-1933م)، زار الشيخ الشام، ومنها ذهب إلى مصر، ومكث يدرس بها في الأزهر مدة عامين، أخذ الشيخ من كبار علمائها هناك، كمفتي مصر: محمد بخيت المطيعي الحنفي[17]، وأحمد بن رافع الطهطاوي[18] وغيرهما - مما سيرد ذكرهم- ثم عاد رحمه الله إلى وطنه المغرب، واشتغل الشيخ بالدراسة، والتدريس، والدعوة الى الله[19].

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه

من شيوخه: تلقّى الشيخ محمد المنتصر بالله الكتاني رحمه الله العلم عن والده وجده-سبق ترجمتهم- وغيرهم من أهل بيته، وبنى شخصيته على أساسٍ قويٍّ في العلوم الشَّرعية، وأتقنها لدى مشايخه الأجلاء، وفقهاء عصره المخلصين -نحسبهم كذلك والله حسيبهم- ومن أبرزهم[20]:

1- عبد الحي الكتّاني: هو عبد الحي بن عبد الكبير الكتّاني، ولد عام: (1302هـ-1885م)، من أشهر مؤلفاته: (فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات)، و(تبليغ الأمانة في مضار الإسراف والتبرج والكهانة)، و(التراتيب الإدارية في الحكومة النبوية)، توفي عام: (1382هـ-1962م)[21].

2- الطاهر بن الحسن الكتّاني: المولود عام: (1299هـ-1882م) له من المصنفات قريب المائة في ميادين مختلفة منها: (الأجوبة المرضية عن الأسئلة الحديثية والفقهية) و(الأزهار الندية في الأحاديث القدسية)، وغيرها، توفي الطاهر عام (1347هـ-1929م)[22].

3- أحمد شاكر: هو أحمد بن محمد شاكر، ولد عام: (1309هـ-1892م)، برع في التفسير والحديث، من أشهر مؤلفاته: (نظام الطلاق في الإسلام)، وحقق عدة كتب منها: (الرسالة) للإمام الشافعي، و(المحلى) لابن حزم، توفي في عام: (1377هـ-1957م)[23].

4- محمد الخطيب: هو محمد هاشم بن رشيد الخطيب، ولد في عام: (1304هـ-1887م) من أشهر مصنفاته: (مفتاح السعادة)، و(دليل الحيران إلى حصن الأمان)، توفي عام: (1378هـ-1959م)[24].

5- أحمد الجزائري: هو أحمد مصطفى بن عليوة الصوفي المستغانمي الجزائري، ولد عام: (1291هـ-1874م) من مؤلفاته: (مفتاح الشهود في مظاهر الوجود) في علم الفلك، و(الأنموذج الفريد)، و(لباب العلم في تفسير سورة النجم)، توفي عام: (1353هـ-1934م)[25].

6- أبو شعيب الصديقي الدَّكَّالي: هو أبو شعيب بن عبد الرحمن الصديقي الدُّكالي، ولد في عام: (1259هـ-1843م)، كان رحمه الله غاية في الحفظ والإتقان، ورغم تفننه في العلوم الشرعية، إلا انه لا تُعلم له مؤلفات، إلا ما قيل أنه كتب (شرح مقامات الحريري)، توفي عام: (1357هـ-1938م)[26].

7- عمر التونسي: هو عمر بن حمدان المحرسي ثم المدني المالكي، ولد عام: (1292هـ-1875م)، اعتنى بالسُّنَّة، وختم مستدرك الحاكم، ومجمع الزوائد، والشمائل للترمذي، والشفا للقاضي عياض، توفي عام: (1368هـ-1949م)، ودفن بالبقيع في المدينة المنورة[27].

من تلاميذه: للشيخ محمد المنتصر بالله الكتّاني رحمه الله تلاميذ كُثر لا حصر لهم أخذوا منه العلم، ومن أبرزهم[28]:

1- ولده الأكبر: هو الشَّهيد - بإذن الله- علي بن محمد المنتصر بالله الكتّاني، ولد في عام: (1360هـ-1941م)، ترك أكثر من مئتي مؤلفٍ وتحقيقٍ، منها: (الشجرة الكتَّانية)، و(موسوعة التراجم الكتَّانية)، توفي عام: (1422هـ-2001م)[29].

2- محمد الألباني: هو محمد ناصر الدين بن نوح الألباني ولد في عام: (1333هـ-1914م) كان يحضر دروس الشيخ محمد المنتصر بالله في دمشق، ومن أشهر مصنفاته: (سلسلة الأحاديث الصحيحة)، و(سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وآثارها السيئة في الأمة)، وحقق كثيرًا من كتب السنة، توفي عام: (1420هـ-1999م)[30].

3- محمد الحسني: هو محمد الحسن بن علوي المالكي، ولد عام: (1368هـ-1949م) وله مؤلفات كثيرة، منها: (أدب الإسلام في نظام الأسرة)، و(حول خصائص القرآن)، توفي عام: (1425هـ-2004م)[31].

4- عبدالله التليدي: هو عبد الله بن عبد القادر التليدي، ولد عام: (1347هـ -1926م) وله عدة مصنفات، منها: (تهذيب الاستنفار في غزو التشبه بالكفار)، و(بزوغ القمر بوجوب تقصير صلاة السفر)[32].

5- أبو تراب الظاهري: مشهور بكنيته، وله ثلاث أسماء (علي، عمر، عبد الجميل)، ولد بالهند سنة: (1343هـ- 1925م)، من مؤلفاته: (الأثر المقتفى لقصة هجرة المصطفى)[33].

6- حفيده: الحسن بن علي بن محمد المنتصر بالله الكتّاني، ولد سنة: (1392هـ-1972م)، من مصنفاته: (إتحاف الخليل بشرح المرشد المعين بالدليل)، (زهرة الرُّبا في تفسير آيات الرّبا)[34].

7- حفيده الآخر: محمد حمزة بن علي بن محمد المنتصر بالله الكتّاني، ولد سنة: (1395هـ-1975م)، له مصنفات منها: (منطق الأواني بتراجم عيون أعيان آل كتّاني)، و(الشهد المنصهر بترجمة الإمام محمد المنتصر).[35]

المطلب الرَّابع: مصنَّفاته وآثاره العلمية

ترك الشيخ محمد المنتصر بالله الكتّاني رحمه الله إرثاً علميًّا ثميناً، منها ما هو مخطوطٌ ومطبوعٌ، إضافة إلى اعتنائه رحمه الله بتحقيق كتب أئمة العلم المشهود لهم، فأكبَّ عليها مطالعةً واستذكارًا وفهمًا؛ فاختصرها وشرح عليها وهي[36]:

تفسير القرآن الكريم.

- فتية طارق والغافقي: اقترح الشيخ من خلاله دستورًا إسلاميًّا كاملًا، ونظمًا إدارية إسلامية للدولة، وفلسفة دولة الإسلام، والمعادن في الإسلام، وأحكام الأرض وملكيتها وكرائها في الإسلام، والعروبة عند ابن تيمية، والمرأة في عصر النبوة.
- الدولة الإسلامية في القرآن الكريم: من اثنتي عشر بابًا وهي: الدولة، الدستور، اللغة، القانون، العدالة، الشورى، التعاون، المواطنون المسلمون، المواطنون غير المسلمين، أعداء الدولة، أقرب النَّاس مودة لها، الجهاد.
- الأموال في الإسلام: وقد اشتمل على ستة أبواب وخمس وستين فصلًا.
- تخريج أحاديث كتاب (تحفة الفقهاء): في فقه الأحناف لعلاء الدين بن محمد السمرقندي بالتعاون مع وهبة الزحيلي.
- تقييد الشريد من شرح أحاديث موطأ الإمام مالك بترتيب التمهيد.
- الرحلة الجزائرية.
- شرح وتخريج مسند الإمام أحمد بن حنبل.
- فاس: عاصمة الأدارسة.
- معجم فقه السلف: عترة وصحابة وتابعين. طبع في تسعة أجزاء.
- معجم فقه ابن حزم الظاهري. طبع في مجلدين.
- الإمام مالك.
- شنجيط: تاريخها الماضي والحاضر.
- الجزائر وثوراتها في التاريخ.
- خلود الإسلام.
- تراجم عدد من الأئمة والعلماء.

المطلب السابع: الوظائف التي تولَّاها

شغل الشيخ محمد المنتصر بالله الكتّاني رحمه الله عدة مناصب في حياته، ووازى فيها بين تحصيل العلم، وشرف القيام بالتعليم من جانب، وبين مناصب سياسية، خدم من خلالها الأمة الإسلامية، وساهم في الحفاظ على هويتها من جانب آخر، فمن أهم مناصبه[37]:

- عمل بالتعليم في مدارس المغرب بفاس، والدار البيضاء، وسلا، وطنجة.
- عمل ضابطًا بمحكمة الاستئناف الشَّرعي العليا بالرباط.
- عمل أستاذًا للفقه المالكي والحضارة الإسلامية بمعهد الدراسات المغربية العليا في قسم الحقوق في الرباط.

- عمل محاضراً بجامعة دمشق -علاوة على وظيفته كأستاذ ورئيس قسم بها-.
- كان خطيب يوم الجمعة لعدة مساجد في دمشق: مسجد بني أمية، وجامع مازي، وجامع باب المصلى، وجامع الجامعة السورية وغيرها.
- كان عضوًا في رابطة علماء الشام.
- كان عضوًا في مؤتمر الأدباء العرب.
- كان عضوًا في المؤتمر الإسلامي.
- كان عضوًا في جمعية طلاب المغرب العربي.
- درَّس في جامعة الملك عبد العزيز، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وجامعة البترول والمعادن بالظهران بالمملكة العربية السعودية.
- عمل أستاذًا للتفسير والحديث، والفقه، والمذاهب الإسلامية والاجتماعية المعاصرة في كلية الشريعة، وكلية الدعوة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- مستشارًا في رابطة العالم الإسلامي.
- مستشارًا للملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود.
- عمل في التدريس بالحرمين الشريفين؛ فدرَّس بالحرم المكي، والحرم النبوي الشريف تفسير القرآن الكريم إلى أن أتمه، كتبه طلابه مشافهة منه، وشرح الشيخ الموطأ، ومسند الإمام أحمد، وغير ذلك.
- عمل الشيخ في مجال الدعوة الى الله، وفي نشر الثقافة الإسلامية في بعض الدول، وحماية الأقليات الإسلامية في الدول الغير إسلامية[38].

المطلب الثامن: وفاته ورثاؤه

ابتلى الله تعالى الشيخ محمد المنتصر بالله رحمه الله بعدة أمراض أثقلته كمرض السكري، وضغط الدم، فأُقعد في مكة المكرمة عام: (1406هـ-1986م)، مما منعه من إكمال ما تيسر له من كتبه، ثم انتقل عام: (1409هـ-1989م) إلى مدينة الرباط بالمغرب، تاركًا الحجاز، وفي المغرب كان يتوافد عليه طلاب العلم لزيارته، واستفتائه في مختلف القضايا العلمية[39].

وفاته: توفي رحمه الله ظهيرة يوم الثلاثاء، الثامن من شهر صفر سنة تسع عشرة وأربعمائة وألف (1419هـ-1998م) ببيته بالرباط، ودفن في اليوم التالي، بمقبرة الشهداء بالعلو[40].

مراثيه: رُثي الشيخ محمد المنتصر بالله الكتّاني بعدة قصائد منها: ما كتبه حفيده محمد بن حمزة الكتّاني في إحدى وسبعين بيتًا مطلعها:

هِيَ الْمَقَادِيرُ جَاءَتْ حَيْثُ تَقْتَدِرُ ... وَحُكْـمُهَا حُكْمٌ بِهِ الْوَرَى أَسِرُوا
لَهَا التَّقَلّبُ فِي الْأَمْرَيْنِ مِنْ سَعَةٍ ... وَضِـيقِ حَالٍ عَلَى الْأَعْلَامِ يَنْتَشِرُ
قَـدْ أَتَى الذِّكْرُ بِالأَخْبَارِ أَنَّ لَهَا ... مِـنَ الْمُهَيْمِنِ أمْرٌ مَـالَهُ قَـرَرُ[41]

المبحث الثاني: جهود الشيخ محمد المنتصر بالله الكتاني رحمه الله في مواجهة الاستشراق

اكتسب موضوع الاستشراق أهمية كبيرة لدى الباحثين؛ نظرًا للدور الخطير الذي لعبه في حياة الأمة الإسلامية، وكونه بابًا آمنًا لولوج التَّنصير، والاستعمار على المسلمين، فاحتل حيزاً ليس بهينٍ في التَّاريخ والفكر الإسلامي، وقد عكف الباحثون على دراسته، ودراسة دوافعه، وأهدافه، وتباينت آراؤهم، وتوسعت الدراسات فيه، ولعلي هنا أقتصر على تحديد مفهومه، وأهدافه لما يقتضيه موضوع البحث.

أولًا- مفهوم الاستشراق:

لا يوجد إطارٌ محدَّدٌ لمفهوم الاستشراق؛ نظرًا لتعدُّد ميادينه وأهدافه، فـ "إنَّ مفهوم الاستشراق غير واضحِ المعالم، وليس هناك تحديدٌ دقيقٌ لمفهومه، ويختلف من باحثٍ لآخر تبعًا لميدان الدراسة، يراه البعض ميدانًا علميًّا للدراسة، ويتجه آخرون إلى اعتباره مؤسسةً غربيَّةً لها أهدافها، ويراه آخرون ظاهرةً ضيِّقةً؛ نتيجة الصراع بين الشرق والغرب"[42]، وبما أنه ليس هناك مفهومٌ محدَّدٌ للاستشراق، سأذكر مفهومًا عامًّا، وآخر خاصًّا بميدان الثقافة والفكر الإسلامي.

الاستشراق بالمفهوم العام: هناك عدة مفاهيم مطلقة للاستشراق، وشاملة منها:

1- "تعبيرٌ أطلقه الغربيون على الدِّراسات المتعلِّقة بالشَّرقيين: شعوبِهم، وتاريخِهم، وآدابِهم، ولغاتِهم، وأوضاعِهم الاجتماعية، وبلادِهم، وأرضِهم، وحضاراتِهم، وكلِّ ما يتعلق بهم"[43].

2- "الاستشراق مفهومٌ عامٌّ، يُطلق عادةً على اتِّجاهٍ فكريٍّ، يُعنى بدراسة الحياة الحضارية، للأمم الشَّرقية بصفةٍ عامَّةٍ"[44].

3- "مجموعة جهودٍ علميَّةٍ للغربيين، تهدف إلى التَّعرف على الدول، والظُّروف الجغرافية، والمصادر، والمعادن، والتاريخ، والقوميات، واللُّغات، والآداب، والفنون وغيرها، وذلك بهدف الكشف عن الثروات الماديَّة، والمعنوية لديهم؛ من أجل تأمين مصالح الغربيين"[45].

فالاستشراق بالمعنى العام: هو دراسة الغرب للأمَّة الشَّرقيَّة بكلِّ تفاصيلها: لغاتها، وعقائدها، وعاداتها، وتقاليدها، وحضارتها، وتراثها، مما يجعلهم عارفين بجميع تفاصيل الحياة الشَّرقية، وحيثياتها.

وهو بالمفهوم الخاص: "تيارٌ يدرسُ كلَّ ما يتعلق بالإسلام، والمسلمين عقديًّا، واجتماعيًّا، وسياسيًّا؛ لخدمة أغراض التَّنصير، والاستعمار للهيمنة على المسلمين"[46].

فهو: أسلوبٌ غربيٌّ يهدف إلى محاربة الإسلام وأهله، وتفتيت وحدة الأمة الإسلامية.

ثانيًا- أهداف الاستشراق:

تتلخص أهداف الاستشراق على ركيزة أساسيَّة، وهي إضعاف الإسلام وهويته عند المسلمين، وهو هدفٌ جذوره قديمةٌ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ (البقرة: 217)، وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾ (البقرة: 120).

فالهدف القديم الجديد هو القضاء على الإسلام، واقتلاع جذوره في نفوس أهله المسلمين، وقبر مقدساتهم، "بعد أن فشلت الحروب الصليبية فشلًا ذريعًا على يد صلاح الدين الأيوبي[47]، في القرون الوسطى من استخلاص بيت المقدس من أيدي المسلمين، وإخضاع العالم الإسلامي لسيطرتها، ومعلنة بأنها حربٌ دينيةٌ؛ برفع الصليب شعارًا لها، الأمر الذي ترك أثرًا سيئًا على نفسية الغرب، فكان لابدَّ من إيجاد بديلٍ آخر وهو الاستشراق؛ لإخضاع العالم الإسلامي لنفوذ الكلمة، والحوار الغربي"[48].

وبما أنَّ قوة المسلمين تعتمد على مصادر الإسلام الأصلية، وهي أسباب انتصاره في بقاع الأرض، فقد كانت هدفًا مباشرًا من قبل المستشرقين "وقف العالم مذهولًا أمام عظمة الإسلام، وانتصاراته، وقوته، مما جعلهم يلجؤون للارتحال لأهله، ومعرفة هذه الأسباب ودراستها، والعمل على إزالتها تجديفًا[49] بالقرآن، والرسول ﷺ، والعرب"[50].

وينبغي التنبيه إلى أنه رغم السواد الأعظم، من المستشرقين الذين تعمدوا التَّشويش على الدين الإسلامي، والتشكيك فيه، إلا أنَّ مِن المستشرقين من أسلم قلبًا، وعقلًا[51]، ومنهم من أنصف الإسلام،

والعرب[52]؛ بعد أن تحرَّر من النزعة التعصبية ضد الإسلام، وتجرد من الكراهية، والافتراءات على الدِّين الإسلامي.

وما لُوحظ في الأهداف التي نسجها المستشرقون في كتاباتهم، والدسائس المبلورة في حواراتهم؛ فإنها تدور في لُبها حول محورين رئيسيين وهما:

1- الطعن في مصادر الإسلام والشريعة الإسلامية: بما أنَّ سيف الحروب الصليبية قديماً عجز عن تركيع الأمَّة الإسلامية، وجد أعداء الإسلام أنَّ السبيل الوحيد للنيل من المسلمين، ووحدتهم؛ هو دحر فكرهم، وعقيدتهم، فأعلنوا مخططاً جديداً، وهو غزوٌ عقائديٌّ فكريٌ، واتَّجهوا إلى حرب الكلمة، وتشويه معالم الدِّين، بتجنيد جملةٍ من الباحثين والمثقَّفين -المستشرقين- لإبطال العقيدة وتأثيرها في نفوس المسلمين.

وإنَّ جمهور هؤلاء المستشرقين ينكرون بأن الرسول ﷺ نبيٌّ، وأنَّه قد أوحى الله إليه القرآن الكريم، ويزعمون أنَّ القرآن ليس من عند الله تعالى؛ كما "يحاول المستشرقون -دائمًا- أن يثبتوا أنَّ القرآن من تأليف الرسول ﷺ، وموقفهم هذا ليس بجديدٍ، ولا يختلف عن موقف مشركي مكَّة، حين بلَّغهم النبي ﷺ برسالته، والوحي القرآني، فزعموا أنَّ القرآن ما هو إلا أساطير قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ (الفرقان: 5)"[53].

قال الشيخ الكتاني رحمه الله: "فهذا الذي قاله الكفار قديمًا هو الذي يقال حديثًا، وكأن هذه الآيات أنزلت الآن؛ لتكون ردًّا على هؤلاء المستشرقين، قالوا: (ٱكۡتَتَبَهَا)، أي: طلب كتابتها، وهو أميٌّ لا يكتب، وأساطير الأولين جمع أسطورة، كأحاديث وأحدوثة، وهو من التَّسطير والكتابة، فهذه أخبار الأولين، وأين الأخبار الجديدة؟ القرآن ليس فيه أخبار الأولين فقط؛ بل فيه أخبار الأوَّلين، وأخبار الآخرين، وفيه الحِكم، والمعارف، والآداب، والحقائق، وفيه الحلال، والحرام، والعلوم، وليس فيه فقط علم السَّماء، وعلم الأرض، وعلم خلق البشر، وإنما في القرآن كل شيءٍ"[54].

إضافة إلى دعواهم بعدم نسبة الحديث الشريف إلى النبي ﷺ، وأنه من اختلاق الصحابة رضي الله عنهم، وترجع هذه الدعوة لعقدٍ نفسيةٍ لدى المستشرقين من رسالة النبي ﷺ ونبوَّته، ومنها نبع تشكيكهم بكلِّ ما يتَّصل بها، وأبرز من تبنَّى هذه الدعوى المستشرق شاخت[55]، حيث زعم أنَّ "الأحاديث المنسوبة للصحابة والتَّابعين سبقت في وجودها الأحاديث المنسوبة للنبي ﷺ، وهو بذلك يودُّ أن يقلع جذور الشَّريعة الإسلامية، ويقضي على تاريخ التَّشريع الإسلامي قضاءً تامًّا، ولهذا فقد وصف العلماءَ المسلمين خلال القرون الأولى، بأنهم كانوا كذَّابين، وملفِّقين، وغير أمناء، وأنَّ الأحاديث نُسبت للنبي ﷺ تدريجيًّا، فهي قبل أن تُنسب له كانت آراء للمذاهب الفقهية السائدة، ومنسوبةً للتابعين، وفي المرحلة الثانية نُسِبت للصحابة، ثم نُسبت للنبي ﷺ، أي: أنَّ أحاديث النَّبيِّ ﷺ لم يكن لها وجودٌ أصلًا؛ بل اخترعت ووضعت خلال منتصف القرن الثاني"[56]، وإنكار السُّنَّة يؤدِّي ذلك بطبيعة الحال إلى التَّقليل من قيمة الفقه الإسلامي، ودعوى بأنَّ الفقه الإسلامي ما هو إلا امتداد لموروثاتٍ يونانيَّةٍ، ووثنيةٍ لا جذور لها[57].

2- التمهيد للاستعمار ونهب ثروات المسلمين: لطالما أراد الغرب توسيع اقتصادهم، وزيادة مواردهم التجارية، واستجلاب المنافع من بلاد المسلمين؛ فعملوا على تنظيم بعثاتٍ منظَّمةٍ، واستكشافية لتلك البلاد، والتي مهَّدت بشكل أساسي إلى:

أ- الاستعمار لبلاد المسلمين، وتخفيف ألم الهزيمة على يد المسلمين التي عانى منها الصليبيون طويلًا، "إنَّ تخليص صلاح الدِّين الأيوبي بيت المقدس من الصَّليبيِّين ليس بالأمر السَّهل الذي ينساه الغرب؛ بل إنَّ الأمل في السَّيطرة عليه من جديدٍ حلمٌ بالنسبة لهم، وكان من الوسائل التي سلكها الغرب لتحقيق هذا الهدف؛

هو دراسة شؤون البلاد، وهو الدَّور الذي قام به المستشرقون، وقد مهَّد السبيل للاستعمار لكي يحتلَّ الغرب معظم البلاد الإسلامية بأقصر السُّبل وأيسرها، وذلك بإضعافِ روح المقاومة في نفوس المسلمين، ليجعلوهم شعوبًا قابلةً للاستعمار؛ بالتَّشكيك في عقيدتها، وحضارتها، وتراثها، وطرح مفاهيم الحزبيات، والقوميات"(58).

وقد تفنَّن المستشرقون في وضع أحزابٍ للمسلمين كلاميَّةٍ جوفاءَ، تحمل أفكارًا إلحاديَّةً خارجةً عن الإسلام، وما طُرحت هذه الأحزاب إلَّا لإضعاف الانتماء الإسلامي.

ب- تحقيق النهضة الصناعية، والاقتصادية، والعلمية في الغرب من خلال الموروثات الحضارية للمسلمين، "لقد عكف المستشرقون على دراسة التاريخ الإسلامي، وعقائده، وفكره، وثقافته وآدابه؛ لا سيما في عصر النهضة؛ التي تسبب بها المسلمون من خلال موروثاتهم الحضارية، التي عمَّت أوربا، وأحدثت لديها انقلابًا فكريًّا، وثقافيًّا"(59). ويقابل دراستهم جحود فضل المسلمين، وتصويرهم بالرجعية، والهمجية بسبب عقيدتهم، وثقافتهم الإسلامية.

المطلب الثاني: موقف الشيخ محمد المنصر بالله الكتاني من الغزو الفكري

لقد استعصى على أعداء الإسلام إزالة مظاهر الحياة الإسلامية لدى الشُّعوب المسلمة عند غزوها عسكريًّا، وما كان لهم أن يصلوا لنتائج، ولو حملوا السِّلاح ألف سنةٍ، حتى استعملوا أخبث أنواع الحروب، وأشدها فتكًا، وأكثرها ديمومةً، وهو غزو الفكر والقلب، والتأثير على المسلمين حضاريًّا، وثقافيًّا، وفتنتهم في دينهم، "إن ما وصلت إليه الحروب الخبيثة كان أكبر، وأشد من القتل؛ لأنَّها فتنت أجيالًا متتابعةً من المسلمين فتنةً عارمةً، وتركتهم على الرِّدة الصامتة، البالغة غاية النُّكر حين دثروها بثوبيْ زورٍ، ودلَّسوها عليهم باسم التَّقدُّم والحضارة"(60).

أولًا- مفهوم الغزو الفكري:

مفهوم **الغزو الفكري كمصطلحٍ علميٍّ**: فقد تباينت تعريفات الباحثين للغزو الفكري في الإطار العام، ولكنها لم تختلف من حيث المضمون، وأرى أشمل تعريف للغزو الفكري هو: "عنوان أطلق على المخططات، والأعمال الفكرية، والتثقيفية، والتدريبية، والتربوية، والتوجيهية، وذلك باستخدام وسائل التأثير النفسي، والتوجيه الخلقي، تقوم به مؤسسات دوليةٌ، وشعبيةٌ من أعداء المسلمين؛ بغيةَ تحويل المسلمين عن دينهم، وتقطيع روابطهم الاجتماعية، ثمَّ استعمارهم سياسيًّا، وعسكريًّا، واقتصاديًّا، استعمارًا مباشرًا، أو غير مباشر"(61).

وعرفه الشيخ الكتّاني رحمه الله بـ: "الانتقال من الاحتلال العسكري، إلى احتلال الفكر والقلب، واستعمار الأخلاق، والمجتمعات"(62).

فالغزو الفكري: هو سلاحٌ فكريٌّ تستخدمه أمَّة ضد أمَّة أخرى، بأساليبَ معيَّنة لتدمير هويتها، وإضعاف قواها من الداخل، ومن ثم السيطرة عليها.

ثانيًا- موقف الشيخ من الغزو الفكري:

بما أنَّ الاستعمار قد تبيَّن له أنَّ احتلاله لبلاد المسلمين إلى زوالٍ، ولا محالة أنَّه مهما طال مقامه فيها فهو مفارقها، ولكن يعزُّ عليه الفِطام من رضاعةِ خيراتها، واستغلال مقدراتها، لهذا وطَّن نفسه على غزو عقول شعوبها، وقلوبهم؛ يقول الشيخ الكتّاني: "لم تقتنع الصليبية باستعمار الأرض واحتلالها؛ لأنها علمت من التاريخ أنه ما من قويٍّ إلا ومآله الضعف، وما من أرض احتلت، إلا ومآل مستعمريها الجلاء، والطَّرد؛ فراحت الصليبية بذلك تغزو العقول والقلوب"(63).

والاستعمار كما خطط لاحتلاله العسكري لبلاد المسلمين، فهو كذلك وضع الخطط وهيّأ الظروف للغزو الفكري، ومنذ فترة مبكرة من التاريخ المعاصر، برويةٍ، وبتدرجٍ، وأوَّليةٍ:

1- فاتَّجه أول ما اتَّجه إلى التَّعليم، وخاصةً التعليم الأوَّلي.

2- ثمَّ ركز على المحاكم؛ لتفريغها من مهمَّة تطبيق الشَّريعة.

3- ثمَّ شرع في العمل على مسخ الآداب، والعادات، والتقاليد.

4- ثم ارتقى إلى فصل الدِّين عن الدولة.

5- وبعدها؛ واستجابةً لمبدأ فصل الدين عن الدولة، قام بفصل التَّعليم الديني عن التعليم المدني، بعدما كانا مندمجيْن.

وكلُّ ذلك كان يرمي من ورائه إلى إخراج الإسلام، وحضارته، وعلومه، وآدابه من دائرة التربية، والتعليم، وعيًا منه لما للتربية، والتعليم المستمدَّيْن من منهج الإسلام من تأثيرٍ في بناء الأمَّة، يقول الشيخ الكتاني رحمه الله: "منذ الحرب العالمية الأولى؛ شرعت أوربا في غزو المدارس، والمحاكم، وغزو الآداب، والعادات، باسم المدنية، والتقدُّمية، والتَّرقِّي، ومالها من شعاراتٍ كاذبةٍ، ومزيَّفةٍ، ولكيلا تتدخل -في زعمها- في الدين، فصلت الدين عن الدولة، لتخرج الإسلام، ودساتيره، وقوانينه، من الحكم، والقضاء، وعن المحاكم، والقضاة، ولكيلا تتدخل -في زعمها- في الدين؛ فصلت ما أسمته بالتعليم الديني عن ما أسمته بالتعليم المدني، لتخرج الإسلام، وعلومه، وآدابه، وحضارته من التربية، والتعليم، وعن المدارس، والمعاهد، والجامعات، فتمَّ لأوروبا من ذلك ما شاءت، وأرادت، وليأخذ هذا الغزو طابعه الصليبي"[64].

ووصل الغزو الفكري لأهم أهدافه، ولُمست نتائج خُططه على واقع المسلمين بوضوحٍ، وأحاط هذا الغزو بالمسلمين في مشارق الأرض، ومغاربها على كلِّ شكلٍ، وبكلِّ اسمٍ، وبكلِّ قوَّةٍ، منها حسبما يراه الشيخ الكتاني:

1- هجر القرآن، وإلغاء السُّنَّة.

2- إلغاء شعائر الإسلام في الأحكام، والنُّظم، والدُّول، والجيوش.

3- مجتمع المسلمين، وشؤونهم ليست لهم، ويديرها غيرهم.

4- اعتماد المدارس، والبرامج، والمناهج التي يضعها الأعداء.

5- محاربة مظاهر المقاومة الإسلامية، وإهمال المجتمع العلمي الإسلامي.

وكل هذه النتائج ما حلم العدو تحقيقها بالآلة العسكرية يومًا؛ إلا إنها تحقَّقت بسلاح الغزو بالكلمة، والفكر، والانسلاخ من الهوية الإسلامية، يقول الشيخ رحمه الله: "المسلمون أصبحت شؤونهم ليست لهم، ومجتمعاتهم يديرها غيرهم، المؤسسات الدولية يُجرُّون لها جرًّا لغير صالحهم، القرآن مهجورٌ، السُّنَّة ملغاةٌ، شعائر الإسلام في الأحكام، والنُّظم والدول، والجيوش، والمجتمعات العلمية العامة مهملةٌ ملغاةٌ، محاربَةٌ مقاومَةٌ، شبابنا يستلمه منذ الطفولة مدارس كافرةٌ، وبرامج كافرةٌ، ومناهج كافرةٌ يضعها الأعداء، إلى أن أضلوا الكثير، وأخذوا الكثير، وأصبحوا يحاربوننا بنا، بأشخاصٍ منَّا"[65].

ثالثاً- دعوته رحمه الله للتحرر من الغزو الفكري:

وإيمانًا من الشيخ بأن الغزو الفكري لا يقلُّ خطورةً عن الغزو العسكري؛ بل هو أشدُّ خطرًا، وأكبر فتكًا، فإنَّه قام يدعو لمكافحة الغزو الفكري ومجابهته حتى تسترجع الأمَّة حريتها، وكينونتها، يقول الشيخ رحمه الله: "لنعود أحرارًا كما ولدنا، سادةً كما كنَّا، يجب أن نتحرَّر من الاستعمار الفكري، ونتحرَّر من الاستعمار العاطفي، كما تحررنا من استعمار الأرض، والتراب"[66].

ولم يكتف الشيخ رحمه الله لرفع هذه الدعوة، والجهر بهذه المطالبة؛ بل وضع استراتيجيةً قابلةً للتنفيذ لتحقيق ذلك تجلت في:

1- تحرير التعليم.

2- تحرير المحاكم، وإعادة النظر في نظامها، وقوانينها.

3- إعادة النظر في برامج، ومناهج المعاهد، والمدارس، والجامعات.

4- الاعتزاز بالدين، والعروبة، والحضارة.

5- تحرير العقل والقلب.

يقول الشيخ الكتّاني رحمه الله: "ولا يتم تحرير العقل والقلب من الاستعمار؛ مالم نحرِّر التعليم؛ ومالم نحرِّر المحكمة، فيجب أن نعيد النظر في برامج المدارس، والمعاهد والجامعات، كتابًا ومنهجًا ومعلمًا، ويجب أن نعيد النظر في نظام المحاكم، قانونًا وقضاءً وقاضيًا، نعيده في كل ما يتَّفق وعروبتنا، وديننا، وحضارتنا"[67].

وشدَّد الشيخ رحمه الله في مقاومة الغزو الفكري على ضرورة نشر التوعية الإسلامية، والأخلاق، والمثل العليا التي جاء بها الإسلام بين المسلمين، وخاصَّة في التعليم؛ لأنَّه نواة تخريج عقول الأجيال وهيكلتها، يقول الشيخ رحمه الله: "نقاوم الغزو الفكري بنشر التَّوعية الإسلامية، ونشر التَّعليم الإسلامي، والآداب الإسلامية، والأخلاق الإسلامية، وأن يكون ذلك في جميع مراحل التعليم من رياض الأطفال، إلى التعليم الابتدائي، إلى التعليم الثانوي، إلى التعليم الجامعي، والتعليم المتخصص"[68].

المطلب الثالث: موقف الشيخ رحمه الله من افتراءات المستشرقين

أدرك الشيخ الكتّاني رحمه الله منهج المستشرقين في نسف قواعد الثقافة الإسلامية لدى المسلمين، وتناول شبهاتهم التي خلصوا إليها في دراساتهم، وفرَّعها في كتبه، إيمانًا منه بحقيقة أبحاثهم وأهدافها الخفية، وعملًا منه على نسف خططهم، احتكم في ردوده للحجَّة البائنة، والبرهان الجليِّ، والدليل القاطع.

لقد تأكد لدى الشيخ رحمه الله أنه لا بدَّ من التصدي للحملات الناعمة للمستشرقين بحزمٍ، وأخذ موقفٍ قاطعٍ بالأدلة الدامغة؛ خاصَّة وأنَّ المستشرقين تذبذبَ منهجهم؛ لافتقادهم أدلةً مقنعةً لما يحتجُّون به، وهو ما يستقرئه المطَّلع على ردوده رحمه الله.

1- التشكيك في صحة الحديث النبوي: أدرك المستشرقون دور السُّنَّة المكمِّل للقرآن الكريم تبيانًا وتفصيلًا له، وأهميتها في حياة المسلمين، وأنها التطبيق القرآني على يد الرسول ﷺ، والذي أوجب سبحانه طاعته فيما أمر ونهى، قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ (المائدة: 92)؛ فوجَّهوا سهام مطاعنهم بصحَّة ثبوتها عن النبي ﷺ ونسبتها إليه، مشكِّكين في تدوينها، وخاصَّةً أحاديث الفقه، والتَّشريع، وأنها خارج الدين الإسلامي، وتتلخص افتراءاتهم التي تزعمها أمثال: جولد تسهير[69] ومن تبعه من جمهور المستشرقين كالمستشرق شاخت، وسنوك هرخرونيه[70] وغيرهم حيث زعموا أنَّ "الأحاديث جميعها وُضعت في النِّصف الثاني من القرن الثاني والثالث وما بعدهما، وكانت شائعةً في العصر الأموي، وكانت تتحدَّث عن الأخلاق والسِّياسة، ولم تتعلق بالفقه والتشريع الإسلامي، حيث لا يوجد حديثٌ فقهيٌّ واحدٌ صحيحُ النِّسبة للنَّبي ﷺ، لعدم اكتراثه عليه الصلاة والسلام لها، وكذلك الصحابة رضي الله عنهم، وإن وجد ما يشير إلى غير ذلك فيكون كذبًا وتلفيقًا، ومن الصعوبة نسبته للنبي ﷺ"[71].

وهذا الافتراء الذي طرحه المستشرقون، ما هو إلا تمهيدٌ لفصل الشَّريعة عن الحياة العامَّة للمسلمين، واستبدالها بتشريعٍ يضع حجر أساسه المستشرقون وفق أهوائهم، وكان ردُّ الشيخ رحمه الله عليهم كالتالي:

أ- دُونت الأحاديث والفقه في حياته ﷺ، وأرسل بعثاته حينذاك من قضاةٍ وسفراءَ إلى جميع الجهات؛ لتطبيق الشَّريعة الإسلامية، قال الشيخ رحمه الله: "ابتدأ تدوين الأحاديث، والفقه في عصر النُّبوة بأمرٍ من رسول الله ﷺ لكُتَّابه بكتابته، وحضَّ النَّاس على حفظه في دولة الإسلام الأولى"[72].

ب- تابع الصحابة رضي الله عنهم تدوين الفقه، قبل فيض الإسلام من جزيرة العرب، واختلاط العرب بغيرهم من الأعراق، يقول الشيخ رحمه الله: "وقد تتابع تدوين الأحاديث، والفقه في عصر الصحابة، قبل فتح فارس والروم، وقبل فيض الإسلام من جزيرة العرب، وقبل اختلاط العرب بغيرهم من شعوب الأرض، ووسع دولة الإسلام الثانية في عهد الخلفاء الراشدين، وفي عصر التابعين قبل عصر الأربعة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، كان الفقه قد بلغ الذروة كمالًا وشمولًا، ووسع دولة الإسلام الثالثة في عهد ملوك بني أمية، ووسع الحياة العامة والإنسان في بيته"[73].

ج- إنَّ الفقه والتشريع الإسلامي كان واقعًا مطبقًا من النبي ﷺ، لا تلفيقًا أو تأليفًا جاء بعده، يقول الشيخ رحمه الله: "الكتب النَّبوية للخلفاء الراشدين: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-: فكتاب أبي بكر فيه زكاة الماشية، وزكاة الفضة، وكتاب عمر: كتب النبي ﷺ كتاب الزكاة إلى عماله، ولم يخرجه إليهم، فقرنه بسيفه حتى قبض، وكتاب علي: فيه الأقضية كالخراج، والديات، وفكاك الأسرى..."[74].

2- التَّشكيك في العبادات الإسلامية: شكَّك المستشرقون في العبادات الإسلامية، وأنَّها مجرد طقوسٍ وثنيةٍ اعتادها المسلمون، وأنها حركاتٌ بدنيةٌ لا لازم لها، وتصدَّر القول بهذه الشبهة الرحالة المستشرقون، على رأسهم سنوك، الذي طرح انطباعاته الحاقدة في كتابه (الحج إلى مكة)[75]، وفنسك[76]، وغيرهم من المستشرقين.

وهذا الافتراء الذي جاء به المستشرقون ما طرح إلا لزعزعة قدسية العبادات في نفوس المسلمين، وفقد الثقة في مشروعيتها:

أ- القول بأنها طقوسٌ وثنيةٌ، ما هو إلا تخصيبُ فكر المسلمين، وتهيئته لبذور الإلحاد، وإقناع المسلمين بغير ما أنزله الله، وبيَّنه رسوله ﷺ، يقول الشيخ رحمه الله: "قول أعداء الإسلام أنها عبادات رأى النبي ﷺ فيها قومه، فأخذ بعض تلك العادات، واستمر عليها، أي: أخذ النبي ﷺ عاداتٍ وثنيةٍ بغير فهمٍ، ولا تدبرٍ، مجاملةً لقومه في الجاهلية، قائل هذا كافر إن كان من المسلمين"[77].

ب- العبادات في الإسلام، هي عبادة إدراكٍ، وتدبُّرٍ، وخشوعٍ، لا عاداتٍ حركيَّة فقط توارثتها الأجيال، كما يدِّعي هؤلاء المستشرقون، يقول الشيخ رحمه الله: "العبادات ينبغي أن يكون الإنسان مواظبًا عليها؛ ليتمعَّن في معاني التوحيد، في معاني العبادات، كما أنَّه إذا صلى، وإذا تلا، أن يتفكَّر، ويتدبر، ويتمعَّن في معاني الآيات التي يقرأُها، وليس فيها كالببغاء، يقولها ولا يدرك معناها، ولا يتفكر في مغازيها"[78].

3- الإسلام دين حرب لا دين سلم: لقد اجتهد المستشرقون أمثال فيليب حتِّي[79]، وكارل بروكلمان[80]، وغيرهم في تصنيف الكتب التي تدعو "لصرف المسلمين عن الجهاد، وذلك بجعل الدِّين الإسلامي دينًا هجوميًّا مرادفًا للعنف والاضطهاد لغير المسلمين، انتشر بالسَّيف وإراقة الدماء، لا بالإقناع والسلام"[81].

هدفت هذه الدعوى في مجملها إلى تثبيط همم المسلمين في الدفاع عن أرضهم، وتلاشي وحدتهم، إضافة لكونها المهد الأول في استعمار بلاد المسلمين، والاستحواذ عليها وهو قول مردود عليهم بأمور:

أ- الإسلام دين رحمةٍ وهدايةٍ للعالمين، فيه حفظٌ لدماء الشعوب، وإكرامٌ للإنسانية جمعاء، والإسلام دين رسالةٍ بالسِّلم، فيعرض الإسلام عليهم، أو الإبقاء ودفع الجزية، ويحميهم، ويحفظ حقوقهم، أمَّا الحروب الهجومية فيه؛ لأنهم حالوا عن دعوة الله، يقول الشيخ رحمه الله: "فالإسلام حينما انتصر؛ انتصر بهداية الناس، وقد أرسل الله محمدا ﷺ هدىً للنَّاس، ومن رحمته بالنَّاس: حارب المرتدين، والضُّلال، والفسَّاق، وفساد العالم اليوم"[82].

ب- الإسلام دينٌ ضدَّ الذُّلِّ، والقهر، والتجزئة، والتمزُّق، وهو ما يحاول المستشرقون تطبيقه على الشعوب المسلمة، يقول الشيخ رحمه الله: "الإسلام دين سِلمٍ، وليس دين حربٍ كما يدَّعون، ولكن عندما يحاول أعداء الإسلام أن يستذلُّوه، وأن يحتلُّوه، وأن يقهروه، ويجزئه الأعداء، شعوبًا، وأحزابًا، وفق أهوائهم، مزقًا، وقطعًا كما ترونه الآن، من لا يحارب عن عرينه، ومن لا يدافع عن عرضه، ومن لا يدافع عن تراثه، ومن لا يدافع عن آبائه وأجداده، فلا حقَّ له بالحياة "[83].

ج- كما أنَّه يقرِّر أنَّ الإسلام حرَّم القتال ظلمًا، وعدوانًا، وتعدِّيًا على حقوق الآمنين، حيث يقول الشيخ الكتَّاني: "الإسلام حرَّم تحريمًا قاطعًا القتال ظلمًا، أو فسادًا، أو تعديًا، أو في سبيل الطغيان، كما حرَّم الانتحار، وقتل المؤمنين والمسالمين، ودعاة الخير والسلام، وتوعَّدهم بأليمِ العذاب، وشديدِ العقاب، وبخزي الدنيا والآخرة"[84].

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبإحسانه تُسفتح العبرُ، والفوائدُ، والعظات، وبفضله تنتهي الكتابات، وتشرق النِّهايات، وأصلي وأسلم على سيِّد البشرية، وخير البريَّة، الذي أخرج اللهُ به عبادَه من ظلمات الجهل إلى نور اليقين، ومن ذلِّ الشِّرك إلى عزَّة العبودية، فصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد هذه الجولة الماتعة النَّافعة في دراسة جهود علَمٍ من أعلام الإسلام، وإمامٍ من أئمة الدِّين، في محاربة الاستشراق، والغزو الفكري، يمكن أن نلخِّص أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة، وهي:

1- إنَّ الاطلاع على سِير أعلام الإسلام له فائدةٌ كبيرةٌ لا يعايشها إلا من اهتم بسيرهم، وتتبع مؤلَّفاتهم، وثمَّن جهودهم، والذي هو منهجُ القرآن الكريم، بما ذكره من سير الأنبياء والرسل والصالحين.

2- وقفتُ على سيرة عَلَمٍ من أعلام الأمَّة الإسلامية، وعلى جهوده في خدمة الثقافة الإسلامية، والحفاظ على هويتها.

3- للشيخ الكتَّاني رحمه الله جهودٌ كبيرةٌ في إبراز شبهات المستشرقين وشعاراتهم، والرَّد عليها، حماية للثقافة الإسلامية من خطر الغزو الفكري.

وبخصوص التوصيات: فإني أوصي الباحثين في مجال الدعوة، والثقافة الإسلامية الاشتغال بتراث أعلام المغرب الإسلامي المعاصر، وإبراز جهودهم في مواجهة الغزو الفكري بكلِّ صوره، والإفادة من منهجهم وسبيلهم، وإبراز القيمة العلمية والإصلاحية لرواد النهضة في المغرب الإسلامي، والحصن الذي تحطَّمت عليه هجمات الأعداء طوال التاريخ، هذه الجهود التي لازلت مجهولةً لدى كثير من الجيل الجديد، وإلقاء الضوء عليها يصل الحاضر بالماضي، ويربط الناشئة بأسلافهم، فتحافظ هذه الأمَّة على هويتها العربية والإسلامية.

هذا، وأرجو أن أكون وُفِّقتُ للصَّواب فيما بذلته واجتهدتُ فيه، ولا أنسبُ ذلك لجهدي وحِذقي، بل هو محض توفيق الله تعالى وتسديده، وعونه وتيسيره، وإن كان غير ذلك فأرجو الله العفو والمجاوزة، والسِّتر والمغفرة، وأن ينفعني، وينفع بي، وأن يصلح حالي، وحال أمَّتِي، ويختم بالصَّالحات أعمالي، ويهديني إلى سواء السَّبيل، وصلَّى الله على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله ربِّ العالمين.

فهرس المصادر والمراجع.

1- أبو بكر علاء الدين السمرقندي (ت: 540 هـ)، تحفة الفقهاء، تحقيق: محمد المنتصر بالله الكتّاني، ووهبة مصطفى الزحيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2017م.

2- أحمد بن محمد بن خلكان (ت: 681)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1392هـ-1972م.

3- آصف حسين ومازن مطبقاني، صراع الغرب مع الإسلام استعراض للعداء التقليدي في الغرب، مركز الفكر المعاصر، الرياض، السعودية، 1434هـ-2013م.

4- خالد بن منصور بن عبد الله الدريس، العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت المتعلقة بالسنة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

5- خير الدين الزركلي (ت: 1396هـ)، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجل والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1426هـ- 2005م.

6- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1414هـ-1993م.

7- عبد الرحمن حبنكة الميداني (ت: 1425 هـ)، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير، الاستشراق، الاستعمار، دار القلم، دمشق، ط8، 1420هـ-2000م.

8- عبد الستار سعيد، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط5، 1410هـ-1989م.

9- عبد الكريم علي الباز، افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان، دار تهامة للنشر، جدة، ط1، 1403هـ-1983م.

10- عبد الله بن عبدالرحمن الخطيب، الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسهير ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

11- عدنان محمد وزان، الاستشراق والمستشرقون، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، 1404هـ-1984م.

12- عمر رضا كحالة (ت: 1408 هـ)، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث، لبنان، 1376هـ-1957م.

13- فضل يونس سعيفان، أنور الجندي وموقفه من الفكر الغربي الوافد، رسالة ماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1424هـ-2006م.

14- مانع حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للنشر، السعودية، ط4، 1420هـ-2000م.

15- مجموعة من الباحثين، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1420هـ-1999م.

16- محمد أسد (ت: 1992م)، الطريق إلى مكة، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1379هـ-1959م.

17- محمد السيد الجليند، الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، دار قباء للنشر، القاهرة، ط1، 1420هـ-1999م.

18- محمد المنتصر بالله الكتّاني (ت: 1419 هـ)، تقييد الشريد من شرح أحاديث موطأ الإمام مالك بترتيب التمهيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

19- محمد المنتصر بالله الكتّاني (ت: 1419 هـ)، خلود الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1431هـ-2010م.

20- محمد المنتصر بالله الكتّاني (ت: 1419هـ)، الإمام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1429هـ-2008م.

21- محمد المنتصر بالله الكتّاني (ت: 1419هـ)، فاس عاصمة الأدارسة، مطبعة النجاح الحديثة، الدار البيضاء، 1425هـ-2004م.

22- محمد المنتصر بالله الكتّاني (ت: 1419هـــ)، فقه السلف: عترة وصحابة وتابعين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1432هـ- 2011م.
23- محمد المنتصر بالله الكتّاني (ت: 1419هـــ)، معجم فقه ابن حزم الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1430هـــ 2009م.
24- محمد المنتصر بالله الكتّاني (ت: 1419هـــ)، نظام الدولة المدنية (فتية طارق والغافقي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1429هـ-2008م.
25- محمد بن مكرم بن منظور (ت: 711 هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ-1993م.
26- محمد بهاء الدين، المستشرقون والحديث النبوي، دار النفائس للنشر، الأردن، ط1، 1420هـ-1999م.
27-محمد حمزة الكتّاني، منطق الأواني بفيض تراجم عيون أعيان آل الكتّاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هــــ 2005م.
28- محمد زماني، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، ترجمة: محمد عبد المنعم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 1431هـ-2010م.
29- محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق: أهدافه ووسائله. دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، دار قتيبة للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1419هـ-1998م.
30- محمد مجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، دار الشواف للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط4، 1413هـ- 1992م.
31- محمد مصطفى الأعظمي (ت: 1439 هـ)، المستشرق شاخت والسنة النبوية، ضمن مجموعة بحوث عنون لها: منهاج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، المنظمة العربية للتربية ومكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1405هـ- 1985م.
32- محمد مهر علي، مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم، ضمن ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1424هـ-2003م.
33- محمود شاكر (ت: 1418 هـ)، موسوعة التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1421هـ-2000م.
34- منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1418هـ- 1997م.
35- نزار أباضة، ومحمد رياض المالح، إتمام الأعلام -ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1420هـ- 1999م.
36- يحى مراد، ردود على شبهات المستشرقين، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان.
37- يحيى شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1413هـ -1993م.
38- يوسف المرعشلي، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
39- يوسف مرعشلي، عقد الجوهر في علماء القرن الخامس عشر، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ-2007م.

المواقع:

1- محمد المنتصر بالله الكتّاني (ت: 1419هـ)، تفسير صوتي للشيخ الكتّاني في سورة الفرقان:
https://audio.islamweb.net/AUDIO/index.php?page=lecview&sid=1210&read=1&lg=946
2- موقع المعرفة: http: //www.marefa.org/index.ph
3- الموسوعة العربية الحرة ويكيبيديا. https: //ar.wikipedia.org/wiki/
4- موقع دار الإفتاء المصرية: http: //www.dar-alifta.gov.eg/ar/Default.aspx?sec=new

الهوامش:

(1) انظر: محمد المنتصر بالله الكتّاني (ت: 1419هـ)، معجم فقه ابن حزم الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1430هـ-2009م، ص 1-2-3؛ ومحمد المنتصر بالله الكتّاني (ت: 1419هـ)، فاس عاصمة الأدارسة، مطبعة النجاح الحديثة، الدار البيضاء، 1425هـ - 2004م، ص8؛ ومحمد المنتصر بالله الكتّاني (ت: 1419 هـ)، خلود الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1431هـ - 2010م، ص14 -15؛ ومحمد المنتصر بالله الكتّاني (ت: 1419هـ)، فقه السلف: عترة وصحابة وتابعين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1432هـ - 2011م، ج1، ص5.

(2) انظر: نزار أباضة، ومحمد رياض المالح، إتمام الأعلام -ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1420هـ - 1999م، ص270.

(3) انظر: خير الدين الزركلي (ت: 1396هـ)، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجل والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1426هـ - 2005م، ج6، ص131؛ ويوسف المرعشلي، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص1180-1181

(4) انظر: المرعشلي، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، (م.س)، ج2، ص1110-1112.

(5) انظر: المرجع السابق، ج2، ص1493-1495.

(6) انظر: محمد المنتصر بالله الكتّاني، فاس عاصمة الأدارسة، (م.س)، ص9.

(7) انظر: محمود شاكر (ت: 1418 هـ)، موسوعة التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1421هـ - 2000م، ص360-370.

(8) انظر: محمد المنتصر بالله الكتّاني، معجم فقه ابن حزم الظاهري، (م.س)، ص18.

(9) مدينة فاس المغربية: تقع على ضفاف نهر فاس أحد روافد نهر السبو في شمالي المغرب، وتعد مركزًا دينيًا وثقافيًا في المغرب، وواحدة من العواصم القديمة للمغرب. انظر: مجموعة من الباحثين، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1420هـ - 1999م، مجلد 17.

(10) انظر: محمد المنتصر بالله الكتّاني، فاس عاصمة الأدارسة، (م.س)، ص12.

(11) هي: مدينة مغربية من أول المدن العربية في شمال إفريقيا، إذ اتخذها إدريس الأكبر مؤسس دولة الأدارسة عاصمة للدولة. انظر: موقع المعرفة http: - - www.marefa.org - index.ph

(12) هي: مدينة مراكش المغربية، عاصمة المغرب القديمة، وثالث أكبر مدينة بعد الدار البيضاء والرباط، وتقع في وسط المغرب، وتشتهر بمركزها التجاري والزراعي. انظر: يحيى شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1413هـ - 1993م، ص219.

(13) هي: مدينة تطوان المغربية: تقع قرب البحر المتوسط وتشتهر بالمصنوعات الحرفية المتنوعة. انظر: المرجع السابق، ص121.

(14) مدينة الرباط هي: عاصمة المملكة المغربية، وثاني أكبر المدن المغربية بعد الدار البيضاء تقع على ساحل المحيط الأطلسي، وهي مقر الملك والنشاط الدبلوماسي. انظر: المرجع السابق، ص213.

(15) هي: مدينة مغربية عريقة وقديمة، تعتبر ضمن الرباط إن لم تكن هي قديمًا، وأساس مدينة الرباط، ومنطلق توسعها العمراني والحضاري، وهي في السير موضوعة على زاوية من الأرض قد حاذاها البحر. انظر: المرجع السابق، ص213.

(16) انظر: محمد المنتصر بالله الكتّاني، معجم فقه ابن حزم الظاهري، (م.س)، ص22.

(17) هو: شمس الدين محمد بن بخيت بن حسين المطيعي، ولد سنة (1271هـ-1855م) ببلدة المطيعة بمصر، حنفي المذهب، تقلد منصب مفتي الديار المصرية سنة (1333هـ-1915م) من مؤلفاته: (حسن البيان في إزالة بعض شبه وردت بالقرآن)، و(القول المفيد على وسيلة العبيد في علم التوحيد)، و(إرشاد أهل الملة إلى إثبات الأهلة) وغيرها، توفي سنة (1345هـ-1927م). انظر: موقع دار الإفتاء المصرية.

http: - - www.dar-alifta.gov.eg - ar - Default.aspx?sec=new

(18) هو: أحمد رافع بن محمد بن عبد العزيز بن رافع الحسيني القاسمي الطهطاوي، ولد في طهطا سنة (1275هـ-1859م) فقيه حنفي مصري، توفي في سنة (1355هـ-1936م)، من أشهر كتبه: (رفع الغواشي عن معضلات المطول والحواشي)، و(الثغر الباسم) وغيرها. انظر: الزركلي، الأعلام، (م.س)، ج1، ص124.

(19) انظر: محمد المنتصر بالله الكتّاني، فاس عاصمة الأدارسة، (م.س)، ص27-28.

(20) انظر: المرجع السابق، ص12-13-15.

(21) انظر: المرعشلي، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، (م.س)، ج2، ص1292-1303.

[22] انظر: عمر رضا كحالة (ت: 1408 هـ)، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث، لبنان، 1376هـ - 1957م، ج10، ص97.
[23] انظر: الزركلي، الأعلام، (م.س)، ج1، ص253؛ والمرعشلي، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، (م.س)، ج1، ص173-174.
[24] انظر: كحالة، معجم المؤلفين، (م.س)، ج12، ص86 -87؛ والمرعشلي، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، ج2، ص1522-1524.
[25] انظر: الزركلي، الأعلام، (م.س)، ج1، ص، 258؛ ومعجم المؤلفين، (م.س)، ج2، ص179؛ والمرعشلي، ونثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، (م.س)، ج1، ص 209-210.
[26] انظر: الزركلي، الأعلام، (م.س)، ج3، ص176؛ والمرعشلي، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، (م.س)، ج1، ص507-508.
تنبيه: الدَّكَّالي: هكذا ضبطه في الأعلام، بفتح الدال وتشديد الكاف، أما في نثر الجواهر: الدُّكَّالي، بضم الدال وتشديد الكاف. والله أعلم.
[27] انظر: المرعشلي، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، (م.س)، ج2، ص931-933.
[28] انظر: الكتاني، معجم فقه ابن حزم، (م.س)، ص51 -52؛ والكتاني، فاس عاصمة الأدارسة، (م.س)، ص26-27.
[29] انظر: المرجع السابق، ص26.
[30] انظر: محمد مجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، دار الشواف للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط4، 1413ه- 1992م، ص287-325.
[31] انظر: يوسف مرعشلي، عقد الجوهر في علماء القرن الخامس عشر، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1428ه-2007م، ج2، ص2037 -2042.
[32] انظر: المرجع السابق، ج2، ص 1876-1879.
[33] انظر: المرجع السابق، ج2، ص 1984-1985.
[34] انظر: الموسوعة العربية الحرة ويكيبيديا. https: - - ar.wikipedia.org - wiki -
[35] وهؤلاء التلاميذ الأربع الأواخر لازالوا على قيد الحياة.
[36] انظر: محمد المنتصر بالله الكتّاني (ت: 1419هـ)، الإمام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1429هـ - 2008م، ص 11؛ والكتاني، فاس عاصمة الأدارسة، (م.س)، ص 28-28-29؛ والكتاني، خلود الإسلام، (م.س)، ص27،26؛ والكتاني، معجم فقه السلف، (م.س)، ج1، ص 9-10؛ ومحمد حمزة الكتّاني، منطق الأواني بفيض تراجم عيون أعيان آل الكتّاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ 2005م، ص30-31-32.
[37] انظر: الكتاني، خلود الإسلام، (م.س)، ص25؛ والكتاني، فاس عاصمة الأدارسة، (م.س)، ص27-28؛ والكتاني، معجم فقه ابن حزم، (م.س)، ج1، ص35.
[38] انظر: الكتاني، خلود الإسلام، (م.س)، ص72.
[39] انظر: الكتاني، معجم فقه ابن حزم، (م.س)، ج1، ص55.
[40] انظر: الكتاني، فاس عاصمة الأدارسة، (م.س)، ص30؛ والكتاني، معجم فقه السلف (م.س)، ج1، ص10.
[41] انظر: الكتاني، معجم فقه ابن حزم، (م.س)، ج1، ص57.
[42] انظر: محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق: أهدافه ووسائله. دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، دار قتيبة للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1419هـ - 1998م، ص15.
[43] انظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني (ت: 1425 هـ)، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير الاستشراق الاستعمار، ط8، دار القلم، دمشق، 1420هـ - 2000م، ص25؛ ومحمد السيد الجليند، الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، دار قباء للنشر، القاهرة، ط1، 1420هـ - 1999م، ص10.
[44] عدنان محمد وزان، الاستشراق والمستشرقون، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، 1404هـ- 1984م، ص15.
[45] انظر: محمد زماني، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، ترجمة: محمد عبد المنعم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 1431هـ - 2010م، ص48.
[46] انظر: حبنكة، أجنحة المكر الثلاثة، (م.س)، ص120؛ و آصف حسين ومازن مطبقاني، صراع الغرب مع الإسلام استعراض للعداء التقليدي في الغرب، مركز الفكر المعاصر، الرياض، السعودية، 1434هـ-2013م، ص67.
[47] هو: يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب الملك الناصر صلاح الدين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفراتية واليمنية، ولد سنة (532هـ-1138م)، من أشهر ملوك الإسلام، كرديٌّ نشأ في دمشق، وتفقَّه، وتأدَّب، وروى الحديث بها وبمصر والإسكندرية، وحدَّث في القدس، توفي سنة (589هـ-1193م). انظر: أحمد بن

محمد بن خلكان (ت: 681)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1392هـ-1972م، ج7، ص139.

[48] انظر: الجليند، الاستشراق والتبشير، (م.س)، ص11-12.

[49] التجديف: الكفر، وعدم الاقناع. وفي الحديث: لا تجدفوا بنعمة الله: أي: لا تكفروها وتستقلوها. انظر: محمد بن مكرم بن منظور (ت: 711 هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ-1993م، ج9، ص24، مادة [جدف].

[50] انظر: منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1418هـ 1997م، ص8-18.

[51] مثل: محمد أسد، سماه والده (ليوبولد فايس) قبل أن يغيره بعد إسلامه، ولد عام: (1900م) في أسرة يهودية متعصبة، له عدة مصنفات منها: (الطريق إلى مكة)، (رسالة القرآن)، (روح الإسلام)، (هل الإسلام في الحكم) وغيرها، توفي عن عمر يناهز(91) في سنة (1413ه-1992م) ودفن في المقبرة الإسلامية بغرناطة. انظر: محمد أسد (ت: 1992م)، الطريق إلى مكة، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1379ه-1959م، ص81-330؛ والمرعشلي، نثر الجوهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، (م.س)، ص2025.

[52] مثل: زيغريد هونكة، وهي مستشرقة ألمانية، وكاتبة في مجال الدراسات الدينية، ولدت سنة (1331ه-1913م) اشتهرت في كتاباتها بإنصاف العرب والمسلمين، من أشهر مصنفاتها: (شمس العرب تسطع على الغرب)، و(الله ليس كذلك)، توفيت في ألمانيا سنة (1999م) عن عمر يناهز 86 عاما. انظر: زيغريد هونكة، ويكيبيديا الموسوعة الحرة:
https: - - ar.wikipedia.org - wiki -

[53] انظر: محمد مهر علي، مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم، ضمن ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم، ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1424هـ-2003م.

[54] تفسير صوتي للشيخ الكتّاني في سورة الفرقان:
http: - - audio.islamweb.net - audio - index.php?page=FullContent&audioid=198192#198192

[55] هو: جوزيف (يوسف) شاخت: مستشرق ألماني، وباحث في الدراسات الإسلامية خاصة الفقه الإسلامي، ولد سنة (1320ه-1902م) درس اللغة العربية، وهو من أشد المعجبين باليهودي المستشرق (جولد تسهير) المعروف بشراسته على التراث الإسلامي، وانتدب للتدريس في الجامعة المصرية، فصنف (الشريعة والقانون في مصر الحديثة: إسهام في مسألة التجديد الإسلامي)، (بدايات الفقه المحمدي)، (إعادة النظر في التراث الإسلامي)، وعدة مقالات منها: (مصادر جديدة تتعلق بتاريخ علم الكلام الإسلامي)، واشترك في الإشراف على الطبعة الثانية من (دائرة المعارف الإسلامية) وغيرها، توفي سنة (1389ه-1969م). انظر: خالد بن منصور بن عبد الله الدريس، العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت المتعلقة بالسنة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ص5-7-9؛ وعبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1414هـ-1993م، ص366-367-368.

[56] انظر: عبد الله بن عبدالرحمن الخطيب، الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسهير ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ص42-43؛ ومحمد مصطفى الأعظمي (ت: 1439 هـ)، المستشرق شاخت والسنة النبوية، ضمن مجموعة بحوث عنون لها: منهاج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، المنظمة العربية للتربية ومكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1405هـ 1985م..

[57] انظر: مانع حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للنشر، السعودية، ط4، 1420هـ-2000م، ص37.

[58] انظر: الجليند، الاستشراق والتبشير، (م.س)، ص20-21-22.

[59] انظر: فضل يونس سعيفان، أنور الجندي وموقفه من الفكر الغربي الوافد، رسالة ماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1424هـ-2006م.

[60] انظر: عبد الستار سعيد، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط5، 1410هـ-1989م، ص41.

[61] انظر: حبنكة، أجنحة المكر الثلاثة، (م.س)، ص25.

[62] الكتاني، خلود الإسلام، (م.س)، ص52.

[63] الكتاني، فاس عاصمة الأدارسة، (م.س)، ص102.

[64] المرجع السابق، ص103.

[65] الكتاني، خلود الإسلام، (م.س)، ص40.

[66] الكتاني، فاس عاصمة الأدارسة، (م.س)، ص103.

[67] المصدر نفسه.

[68] الكتاني، خلود الإسلام، (م.س)، ص68.

(69) هو: جولدتسيهر(اجنتس): ولد في المجر سنة (1266هـــ1850م)، من أسرةٍ يهوديةٍ، اتَّجه للدراسات الشَّرقية وهو ابن 16 سنة، وهو أول مستشرق شكَّك في الحديث النبوي، من مصنفاته: (الظاهرية: مذهبهم وتاريخهم)، (الإسلام والدين البارسي)، (دراسات إسلامية)، (محاضرات في الإسلام)، (اتجاهات تفسير القران عند المسلمين)، توفي سنة (1339هـــ 1921م). انظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، (م.س)، ص198-199-200.

(70) هو: سنوك هرخونيه: ولد سنة (1273ه-1857م) بهولندا، اهتم بالدراسات الإسلامية إلى جانب أنه كان سياسيًّا ومستشارًا لدى هولندا في مستعمراتها في إندونيسيا، من مصنفاته: (موسم الحج في مكة) زاعماً أنَّ الحج موروثٌ وثنيٌّ عند العرب، (محاضرات عن الإسلام) وغيرها، توفي سنة (1355هـــ1936م). انظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، (م.س)، ص353-354.

(71) انظر: محمد بهاء الدين، المستشرقون والحديث النبوي، دار النفائس للنشر، الأردن، ط1، 1420هــ1999م، ص 21-22؛ ويحى مراد، ردود على شبهات المستشرقين، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، ص290-291-292.

(72) انظر: أبو بكر علاء الدين السمرقندي (ت: 540 ه)، تحفة الفقهاء، تحقيق: محمد المنتصر بالله الكتّاني، ووهبة مصطفى الزحيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2017م، ج1، ص12.

(73) المرجع السابق، ج1، ص19.

(74) المرجع السابق، ج1، ص12.

(75) كتاب الحج إلى مكة: يعتبر مرجعاً مهمًّا لدى المستشرقين، وهو كتاب انتهى فيه سنوك إلى أنَّ الحج عملٌ وثنيٌّ.

(76) هو: أرند جان فنسنك: مستشرقٌ هولنديٌّ، من أشرس المستشرقين طعناً في الإسلام، ولد سنة (1299ه-1882م) وتوفي سنة (1358ه-1939م)، من أشهر كتبه: (محمد واليهود في المدينة)، (الإسرائيليات في الإسلام) وغيرها من الكتب الطاعنة في الإسلام. انظر: الزركلي، الأعلام، (م.س)؛ ج1، ص 289؛ وبدوي، موسوعة المستشرقين، (م.س)، ص290.

(77) محمد المنتصر بالله الكتّاني (ت: 1419 ه)، تقييد الشريد من شرح أحاديث موطأ الإمام مالك بترتيب التمهيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ص313-314.

(78) المرجع السابق، ص312.

(79) هو: فيليب حتِّي: ولد سنة (1303ه- 1886م) مستشرقٌ أمريكيٌّ من أصلٍ لبنانيٍّ، عمل أستاذًا لتاريخ العرب في الجامعة الأمريكية في بيروت، من مصنفاته (أصول الدولة الإسلامية)، (تاريخ العرب)، (تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين) وغيرها، توفي سنة (1398هـ 1978م). انظر: افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان، عبد الكريم علي الباز، ص29-30

(80) هو: كارل بروكلمان: مستشرق الماني ولد عام: (1285ه- 1868م)، اهتم بالدِّراسات الشرقية، والأدب العربي من مصنفاته: (عبد الرحمن أبو الفرج ابن الجوزي)، (تلقيح مفهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار)، و(تاريخ الآداب المسيحية في الشرق)، و(تاريخ الشعوب الإسلامية) وغيرها، توفي سنة (1374ه -1954م). انظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، (م.س)، ص98-99-105.

(81) عبد الكريم علي الباز، افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان، دار تهامة للنشر، جدة، ط1، 1403هـ-1983م، ص42-43.

(82) محمد المنتصر بالله الكتّاني (ت: 1419ه)، نظام الدولة المدنية (فتية طارق والغافقي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1429هـ-2008م، ص332.

(83) المرجع السابق، ص333.

(84) المرجع السابق، ص51.